

الفصل السادس

الامبراطور فردريك كمسيح منتظر

نبوءة يواكيم وفردريك الثاني

في غضون القرن الثالث عشر ظهر نوع اخر من الايمان بالآخريات (ص ١٠٨) إلى جانب الأمور الأخروية الأخرى المستمدة من سفر الرؤيا والسبيليين اصحاب الهواتف من السماء ، معهم في البداية ، ولكن سرعان ما اختلطت كلهما ، وكان مخترع النظام التنبؤي الجديد ، الذي قدر له ان يكون في اوربا الاكثر نفوذا حتى ظهور الماركسية ، هــو يواكيم فيور (١١٤٥ - ١٢٠٢) وبعد سنوات عديدة امضاها في احتضان واطالة للتفكير في الكتابات المقدسة ، تلقى هذا الناسك الذي كان راعي دير كالابريان ، في وقت ما بين ١١٩٠ و ١١٩٥ ، الهاما بدا انه يكشف فيه معنى خفيا ذا قيمة تنبؤية فريدة .

وكانت فكرة ان تضم الكتابات المقدسة معنى خفيا بعيدة عن ان تكون جديدة ، فلقد كانت طرق التفسير دائما تعطي مجالا واسعا للتأويلات المجازية ، وما كان جديدا هو فكرة ان هذه الطرق لا يمكن تطبيقها ببساطة على الاغراض الخلقية والعقائدية فحسب بل كوسيلة لفهم تطور التاريخ والتنبؤ به ، وكان يواكيم مقتنعا انه قد وجد مفتاحا ، اذا ما طبقه على احداث وشخصيات العهدين القديم والجديد ، بشكل خاص على سفر الرؤيا مكنه من ان يلاحظ في التاريخ نمطا ومعنى ، وان يتنبأ بمراحله المستقبلية بالتفصيل ، لانه في تأويله للكتابات المقدسة طور تفسيرا للتاريخ على انه ارتقاء مر خلال ثلاث مراحل متتابعة رأس كل منها أحد أشخاص الثالوث

الاقديس ، وكان العصر الاول عصر الاب او القانون ، والعصر الثاني كان عصر الابن او الانجيل والبشارة ، وسيكون العصر الثالث عصر الروح ، وسيكون هذا لسلفيه مثل ضوء النهار العريض مقارن مع ضوء النجوم والقمر ، وكأوج الصيف مقارنا بالشتاء والربيع ، فاذا كان الاول عصر خوف وعبودية ، والثاني عصر ايمان وخضوع نبوي فان العصر الثالث سيكون عصر حسب وسرور وحرية ، عندما تكشف معرفة الرب مباشرة في قلوب كل الناس وسيكون عصر الروح هو السبب او وقت الراحة للجنس البشري ، ثم يصبح العالم (ص ١٠٩) ديرا كبيرا واحدا سيكون كل الناس فيه رهبانا متاملين منتشين في تواجد صوفي ، ومتحدين في التغذي بمدح الرب ، وهذه الترجمة الجديدة لمملكة القديسين ستبقى حتى الحساب الاخير ، ولم يكن يواكيم غير اصولي عن وعي ، ولم يكن لديه رغبة في هدم الكنيسة ، وكان بتشجيع ما لا يقل عن ثلاثة بابوات قد كتب الالهام الذي وهب له ، ومع ذلك كان في فكره تلميحات محتملة الخطورة على بنية الديانة الارثوذكسية في العصور الوسطى ، وفكرته عن العصر الثالث لم يكن بالامكان توفيقها حقيقة مع الفكرة الاوغسطينية ، بان مملكة الرب قد تحققت وبقدر ما امكن تحقيقه على الاطلاق على هذه الارض في اللحظة التي ظهرت فيها الكنيسة ، وانه لن يكون هناك ايدا اي الفية سوى هذه ، وايا كان مقدار وعي يواكيم بتعاليم الكنيسة . وادعاءاتها واهتماماتها ، انه في الواقع قد اقترح نمطا جديدا للالفية ، لابل كان اكثر من ذلك كان نمطا ستحكم الاجيال التالية صنعته اولا كنمط مضاد للكهانة ثم فيما بعد بمعنى علماني صريح .

ويمكن على المدى البعيد تعقب التأثير غير المباشر لتأملات يواكيم الى ايماننا الراهنة ، وبشكل اكثر وضوحا في « فلسفات معينة للتاريخ ، لاتوافق الكنيسة عليها بصوررة مؤكدة ، ومع ان تصورات يواكيم قد تكون مرعبة ، وقد تكون ايضا تصورات خيالية من الصعب تصور وقوعها ، لامجال للخطا انها حول العصور الثلاثة عادت للظهور على سبيل المثال في نظريات التطور التاريخي التي

فسرها فلاسفة مذهب المثالية الألمان : لسنغ ، وشلنغ وفيخت ، والى حد ما هيغل ، وفي فكرة اوغست كومت عن التاريخ انه ارتقاء من الدين عبر ماوراء الطبيعة الى المرحلة العلمية ، ومرة اخرى في الماركسية الجدلية حول المراحل الثلاثة : الشيوعية البدائية ، ومجتمع الطبقة ، والشيوعية النهائية التي ستصبح عالم الحرية الذي ستضمحل فيه الدولة ، وليس اقل صحة - حتى لو كان اكثر تناقضاً - ان عبارة « السرايخ الثالث » التي ابتكرت للمرة الاولى في ١٩٢٣ من قبل خبير القانون الدولي مولرفان دين بروك وتم تبنيها فيما بعد كاسم « للنظام الجديد » الذي كان يفترض فيه ان يستمر الف سنة لم يكن له سوى دلالة عاطفية صغيرة ، اذا كان تخيل شريعة ثلاثة اكثر تألقا لم يدخل على مر القرون في الاصل المشترك للأساطير الاجتماعية الاوروبية .

وما اثر في شعوب القرن الثالث عشر فوق كل شيء كان رواية يواكيم عن كيف ومتى كان على العالم ان يمر بالتحويلات النهائية ، وفي فكرة يواكيم عن التاريخ ان كل عصر ينبغي ان تتقدمه فترة حضانة ، وحضانة العصر الاول ، استمرت من آدم الى ابراهيم ، وحضانة الثاني من حجي الى المسيح ، وبالنسبة للعصر الثالث فان حضانته قد بدأت مع القديس بندكت وقاربت نهايتها في الوقت الذي الف فيه يواكيم اعماله ، وطبقا للقديس متى هناك اثنان واربعين جيلا بين (ص ١١٠) ابراهيم والمسيح ، وكما كان العهد القديم نموذجا للاحداث التالية كلها فان الفترة بين مولد المسيح وتحقيق العصر الثالث يجب ان تستمر ايضا اثنان واربعين جيلا ، وباعتبار ان الجيل ثلاثين عاما فان يواكيم كان قادرا على وضع اوج التاريخ البشري بين السنوات ١٢٠٠ - ١٢٦٠ ، وفي هذه الاثناء على اي حال ان الطريق يجب ان يقوم ، وان هذا يجب ان يتحقق من مثل نظام جديد من الرهبان الذين سيعطون بالبشارة الجديدة في كل انحاء العالم ، ومن بينهم سيخرج اثني عشر بطيريركا سيقومون بتحويل اليهود الى المسيحية ، واستاذ واحد اعلى سيقود كل الجنس البشري بعيدا عن حب الاشياء الارضية الى حب الاشياء الروحية ،

وخلال السنوات الثلاثة والنصف التي تتقدم مباشرة تحقيق حكم الشريعة الالهية (العصر الثالث) سيكون حكم المسيح الدجال ، سيكون ملكا دنيويا يعاقب الكنيسة الدنيوية الفاسدة حتى انها في صورتها الحالية ستخرب تماما ، وبعد القضاء على هذا الدجال سيأتي عصر الروح في صورته الكاملة .

كيف كان هذا المذهب متفجرا عندما انتحل من قبل الجناح الصارم لرتبة الفرنسييسكان وتصور يواكيم لمرتبة رهبانية غير دنيوية بالمرّة قد اصبحت قريبة جدا من التحقيق في الجمعية الدينية التي في بضع سنوات من موت المتدبّيء ، بدأت تتشكل حول جمعية اسيس Assisi فيما بعد عندما تطورت الجمعية الى تنظيم كهنوي كبير توجب حدوث تنازلات استجابة لمطالب حقائق كل يوم ، وتغلغل التنظيم في الجامعات وبحث عن النفوذ وممارسه واحرز صفات مميزة ، ولكن كثيرا من الفرنسييسكان رفضوا هذه التجديدات وتعلقوا بالمفهوم القديم عن الفقر المطلق ، وشكل هؤلاء الرجال - الفرنسييسكان الروحانيون - حزب اقلية ، في البداية ضمن التنظيم وفيما بعد خارجه ، وبحلول منتصف القرن اخرجوا الى النور نبوءات يواكيم (التي اجتذبت قليلا من الانتباه حتى الآن) وكانوا ايضا يلفقون نبوءات نسبوها بدون نجساح الى يواكيم ، وكان لها تاثير يفوق كتابات يواكيم ، وشهرة اوسع ، وفي تلك الكتابات كيف الروحانيون الاخرويات اليواكيمية بطريقة جعلتهم هم انفسهم يعتبرون الرهبنة الجديدة الرهبنة التي حلت محل كنيسة روما ، والتي عليها ان تقود البشرية الى امجاد عصر الروح ، ويكمن تعقب النبوءات اليواكيمية الكاذبة في جنوب اوربا وراء مجال الدراسة الراهنة ، ويحتاج الامر الى مجلد اخر لوصف كيف انه على حواشي الحزب الروحي ، ما تزال الجمعيات المتطرفة تنبثق ، حتى انه حول شخصيات مثل فراد ولسينو ، ورينزو ازدهرت الفيه بالثورة نفسها وبالروح القتالية مثل اي من تلك التي (ص ١١١) وجدت في الشمال ولكن مع انها الفت في ايطاليا اثرت نبوءات اليواكيمية - الكاذبة في التطورات في المانيا ايضا ،

وبفضلها ، أصبح الى حد كبير دور عقوبة الكنيسة في الايام الاخيرة
معينا في الخيال الشعبي للامبراطور فردريك الثاني .

وبالفعل كان فردريك في بداية حياته في السلطة وقبل ان يبدأ
اليواكميون بزمان طويل في شغل انفسهم به ، هدفا لتوقعات
اخروية ، وكل ما توقعه الفرنسيون من الكابتيان ، توقعه الالمان
منه ، وما ان توفي فردريك الأول (بربروسا) في الحملة الصليبية
الثالثة في ١١٩٠ حتى بدأت تظهر في المانيا نبوءات تتحدث عن
فردريك مقبل سيتم كامبراطور للايام الاخيرة العمل غير المكتمل ،
وهو مخلص اخروي سيمهد الطريق ، بتحرير الضريح المقدس ،
للمجيء الثاني والالفية ، وعندما منح التاج الامبراطوري بعد ذلك
بثلاثين عاما لفريدريك الثاني الذي كان حفيدا لبربروسا كانت هذه
النبوءات تطبق بثقة عليه ، وهكذا ربطت للمرة الاولى صورة
امبراطور الايام الاخيرة بالحاكم الفعلي للمجموعة الارضية ،
المتركزة في المانيا ، ولكنها تضم ايضا بيرغنديا ، ومعظم ايطاليا ،
التي اصبحت تعرف في الغرب باسم الامبراطورية الرومانية (وفيما
بعد باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة) .

ولقد كان الكثير في حياة فردريك وشخصيته مما يرضى ويشجع
نمو الاسطورة المسانحة ، لقد كان الشخصية الاكثر تألقا ، والتي
كان نكاؤها وتقلبها وفسقها وقسوتها مجتمعة تبهر معاصريها ،
وعلاوة على ذلك كان في الحقيقة قد خرج في حملة صليبية في ١٢٢٩
وكان قادرا حتى على استعادة القدس وعلى ان يتوج نفسه ملكا على
المدينة ، وفوق ذلك تورط مرارا في صراعات ذات مرارة استثنائية
مع البابوية ، وقد عولجت النصرانية حسب وجهة نظر الامبراطور ،
الذي حرم مرات عديدة كمهر طق وحانث بالقسم ومجدف ، وقد هدد
بالمقابل بان يجرد الكنيسة من تلك الثروة التي اعلن انها مصادر
مفادها ، وكل ذلك ساعد على جعله موائما لدور من سيعاقب رجال
اللاهوت في الايام الاخيرة ، وتتنبأ الحواشي اليواكمية الزائفة على
ارميا التي كتبت في ١٢٤٠ ، تتنبأ في الواقع بان فردريك سوف

يضطهد الكنيسة وينكل بها والى حد انها في عام ١٢٦٥ سستنهاى تماما ، وبالذسبة للروحانيين الايطاليين كان هذا العقاب للكهنه مع انه حق ومقدمة لازمة للعصر الثالث ، ما يزال عملا شيطانيا ، وبالذسبة لهم كان الامبراطور وحش سفر الرؤيا والامبراطورية الرومانية المقدسة هي بابل ، وكلاهما من وسائل الشيطان وهما ذفسيهما قد قدر لهما ان يبادا بدورهما، ولكن كان من الممكن ان يرى الخصم الامبراطوري للبابوية في ضوء اخر ، ففي المانيا استمر اعببار فرديريك مخلصا (ص ١١٢) ولكنه مخلص دوره الان يشمل معاينة الكنيسة ، هو شخصية اندمج فيها امبراطور الايام الاخيرة بالملك الجديد في النبوءة اليواكمية .

وفي محاولة لاعادة فرديريك للطاعة وضيع الكرسي المقدس المانيا كلها تحت الحرمان الامر الذي كان يعني ان الطقوس والاسرار المقدسة اللازمة لم يعد بالامكان تقديمها او تطبيقها ، وطبقا للمعتقدات السارية آنذاك كان كل من يموت في ذلك الوقت لامفر من لعنه ، وبحلول ١٢٤٨ ، زار دوقية سوابيا الكثيفة السكان والتابعة لمقاطعات الامبراطورية ، والوفية في تأييدها بشكل خاص لال هو هذستوفن وعاظ متجولون ، كانوا يعلنون على الناس ان الاكليروس غارقون في الخطيئة حتى انهم قد فقدوا سلطة اعطاء الاسرار المقدسة الصالحة ، اما بالذسبة للبابا انوسنت الرابع فان حياته كانت من الشر لدرجة ان اي حرمان صدر عنه لايمكن ان يكون له ادنى وزن، وان الحقيقة محفوظة لدى الوعاظ المتجولين انفسهم وانهم وحدهم المفوضون من قبل الرب بالغفران من الخطايا ، وان البابا و الاساقفة مهر طقين بكل معنى الكلمة ويجب تجاهلهم ، ومن جانب اخر فانه يجب على الناس ان يصلوا من اجل الامبراطور فرديريك وابنه كونراد لأن هذين كانا صالحين وكاملين حقا ، وبينما كانت هذه الدعاية تنشر في مدينة الهال ، قام الحرفيون بثورة ولم يطردوا فقط الاكليروس بل ايضا كثيرا من الذبلاء الاثرياء ، ولهذه الواقعة بعض الهمية ، لانه من المؤكد ان الخيال الشعبي الذي قد حول منذ فترة ليست بعيدة ، في فلاندرز بلدين امبراطور

القسطنطينية الى مخلص للفقراء ، كان الان ، وإن يكن بصورة غير موثمة يفعل الشيء نفسه للامبراطور فرديريك ويعبر عن هذا الخيال بوضوح بيان يواكيمي صدر في سوابيا في هذا الوقت بالذات عن الاخ ارنولد، وهو منشق دومينيكاني . ومثل النبوءات اليواكمية في ايطاليا تطلع هذا العمل الى سنة ١٢٦٠ ، على انها السنة الرؤوية التي سترى تحقيق العصر الثالث ، ولكن قبل ذلك سييناشد الاخ ارنولد المسيح باسم الفقراء محاسبة البابا وكهنوته ، وسيستجيب المسيح ، وسيظهر على الارض ليعلن حكمه ، وسيقف البابا مكشوفاً كمسيح دجال والكهنة كاطراف للدجال ، وسيدينهم المسيح ، تماماً ليس فقط بسبب عدم أخلاقياتهم ودينونيتهم واساءة استعمالهم للحرمان - بل ايضاً - وبشكل رئيسي لاستغلالهم واضطهادهم للفقراء ، ومن خلال ارنولد وجماعته ستجد ارادة الرب التعبير ، وأن مهمتهم هي تنفيذ هذه الارادة بحرمان كنيسة روما من سلطاتها وان يتولوا هم هذه السلطة ، كرجال مقدسين يعيشون ويستمررون في العيش في فقر مطلق . اما بالنسبة للثروة العظيمة للكنيسة ، فانها ستصادر وتوزع على الفقراء ، والذين هم في عين ارنولد عينوا انفسهم (مدافعين عن الفقراء) هم فقط المسيحيون الحقيقيون ، وهذه الثورة الاجتماعية الكبيرة ستنفذ تحت رعاية الامبراطور فرديريك الذي طبقاً لارنولد كان لديه بالفعل برنامج موضوع امامه ووعد بالتأييد . (ص ١١٣)

ان الراديكالية الاجتماعية لهذه التخيلات مختلفة تماماً عن الروحانية المخلخلة لنبوءات يواكيم الخاصة التي اغرت الفقراء بقوة ، وربما اثارت حركة ثورية واسعة الانتشار ولكن من اجل حقيقة انه في عام ١٢٥٠ توفي فرديريك فجأة ، قبل عقد من الوقت الذي كان يفترض فيه ان يقوم بالدور الأخرى ، كانت وفاته ضربة مفاجئة لكل من اليواكميين الالمان الذين حرموا من مخلصهم واليواكميين الايطاليين . الذين حرموا من مسيحهم الدجال ، ولكن سرعان ما اشيع ان الامبراطور مايزال حياً ، وانه قذف الى ما وراء البحار من قبل البابا او ربما بناء على نصيحة المنجمين . وذهب

طواعية ، او ربما كان يقوم بتنفيذ كفارة طويلة كحاج او ناسك ، ولكن كانت هناك ايضا نظريات سارية من نوع خارق للطبيعة ، ففي جنوب ايطاليا وصقلية ، حيث امضى فرديريك معظم حياته سمعت عبارة موجزة سبيلينية رمزية ، (حيا ليس حيا) ، ورأى راهب الامبراطور يدخل في احشاء اتنا في حين نزل جيش محموم من الفرنسان في البحر الصاخب ، واذا كان هذا بالنسبة للراهب معناه ان فرديريك قد مضى الى الجحيم وضع كثير من الصقليين تركيبة اخرى للامر ، فاتنا منذ زمان طويل كانت تعتبر مقرر الابطال الراحلين ، بما فيهم الملك ارثر نفسه ، وعندما اخذ فرديريك مكانه بين هؤلاء اصبح امبراطورا نانما ، وسوف يعود يوما كمخلص ، وعندما وصلت الفترة الحرجة عاد في الواقع الى الظهور ، فلمدة عامين بعد ١٢٦٠ استطاع دجال كان يسكن على منحدرات اتنا ان يجتنب عددا كبيرا من الاتباع ، وصحيح ان خيال فرديريك المبعوث فقد بسرعة جاذبيته في صقلية ولكن بقي ساحرا للامان جيلا بعد جيل ، تماما مثلما سحر خيال شارلمان المبعوث للفرنسيين .

بعث فرديريك :

وبعد وفاته باربعة وثلاثين سنة مر فرديريك الثاني بعملية بعث شبيهة جدا بتلك التي حدثت مرة بالنسبة لبلدوين ، كونت ، فلاندرز ، ويروي احد المؤرخين تحت عنوان عام ١٢٨٤ ان احد الذسك قرب ورمز كان يدعي انه الامبراطور ، وفي نحو هذا الوقت تحدث اخر عن شخصية مماثلة تم اصطحابها الى لوبك وسط حماس شعبي عظيم ، وفي كلتا الحالتين اختفى فرديريك الزائف حالما بدا احتمال كشفه ، كان هو الرجل نفسه (ص ١١٤) الذي نجح في عام ١٢٨٤ في ترسيخ وضعه في حال ملكي في وادي الراين . ربما لا لأن الاخير بدا انه ليس بدجال بقدر ما هو مريض بجنون العظمة ، اعتقد حقا انه فرديريك ، وبطرده من كولون على انه مجنون استقبال استقبالا رائعا في مدينة نيوس المجاورة التي حدث انها كانت في حالة نزاع مع رئيس اساقفة كولون ، وهناك اقام بلاطا ،

ومثلما فعل برتداند اوف راى تماما ، وصف هذا الرجل كيف امضى سنوات طويلة كحاج ، ينفذ كفارة عن ذنوب حياته السالفة ، مع انه كان احيانا يستثمر الاساطير التي تجمعت حول فرديريك المتوفى ، وادعى انه كان يسكن في اعماق الارض ، وقد انتشرت اخبار مجيئه خارج الوطن ، وأحدثت في ايطاليا ضجة لدرجة ان مدنا عدة ارسلت سفراء الى نيوس للاطلاع على الامر ، في حين قفز اليواكميون الى النتيجة ، إنه اخيرا وبعد طول انتظار كان فرديريك حقا يتولى دوره الكامل كمسيح دجال .

وكانت الظروف في المانيا مواتية لمثل هذا البعث ، ومنذ بداية القرن كانت الحكومة المركزية قد اخذت تضعف وكانت المملكة تتفكك الى خليط مشوش من الامارات نصف المستقلة ، وهي عملية كانت بالضبط عكس تلك التي كانت تجري في فرنسا ، ومع ان فرديريك لم يفعل شيئا لوقف هذا التحلل ، وكان دائما اكثر اهتماما بايطاليا وصقلية منه بالمانيا، كانت شخصيته القوية النابضة بالحياة مع ذلك توفر له نواة للولاء الالمانى ، واعقب وفاته فترة انقطاع ، مدة جيل لم يكن فيها اي ملك قادرا على الحصول على اعتراف عام في المانيا ، ومرت البلاد في هياج شبيه بما عانتة فرنسا قبل ذلك بقرنين ، مع حزازات وحروب خاصة كانت محتدمة في كل الجوانب واستمرت هذه الحالة المثيرة للقلق حتى بعد رودلف ، اول ملك من اسرة هابسبورغ ، الذي اختير ملكا المانيا في ١٢٧٣ ، وما ان تنوق الامراء مباحج الاستقلال حتى صمموا على ان لايفرطوا فيها ، وهذا يعني ان الملك بجب ان يبقى ضعيفا وخالما ظهر الى الوجود دعي تظاهر انه فرديريك الثاني اسرع العديد من كبار الامراء لمنحه الاعتراف الرسمي ، لا لانهم صدقوا بل لانهم ارادوا ارباك رودلف ، وفي هذا الوقت كان في المانيا علاوة على ذلك حضارة حقسا ومدنية مزدهرة ، وبالضبط اثناء فترة خلو العرش حدث تقدم كبير في الصناعة والتجارة في المدن ذاتية الحكم ، ولكن مع ان هذه المدن احتفظت بحياة منظمة مزدهرة اكثر مما وجد في اي مكان اخر في المانيا ، فانها كانت ممزقة بالصراعات الاجتماعية ، وفي مدن الراين

كان هناك حرفيون عديدون يعيشون في قلق وفقر مدقع اكثر مما كان في اي وقت على الاطلاق (ص ١١٥) واكثر ما اسهم في نجاح فردريك كان بالتأكيد حقيقة ان فقراء المدن كانوا ما يزالون متعلقين بالتوقعات المسانحة المتعلقة بالامبراطور فردريك الثاني ، وقد اظهر ملك نوييس انه فوق كل شيء صديق للفقراء ، واقام دعايته بين المتنبئين الذين وصفهم المؤرخون كمهر طقين .

في النهاية متسما بالنجاح اخفق فردريك المزيف في تحقيق غايته وبتحركه في اتجاه الجنوب ، اعلن مقاصده في اقامة مجلس تشريعي امبراطوري في فرانكفورت ودعا الملك رودلف للمثول امامه حتى يمكنه كامبراطور ان يمنحه المانيا ، وكان جواب رودلف تسيير جيشه ضد الدعي وحصاره لمدينة ويتزلر حيث التجأ ، لقد كانت المدينة منقسمة ، كما كانت فالنسين منقسمة في حالة بلدرين المزيف ، والان كما كان في حينه ، كان الناس العاديون على استعداد لحمل السلاح للدفاع عن امبراطورهم ، ومع ذلك استسلم الرجل الى رودلف ، اوسلم نفسه ، وبعد محاكمة احرق على الخازوق .

وكانت طريقة الاعدام ذات دلالة لان الاحراق كان لا يستخدم في حالات العصيان او التمرد السياسي بل فقط في حالات السحر والشعوذة والهرطقة ، وهذا يؤكد ما يشير اليه المؤرخون ايضا ، ان هذا الرجل كان متعصبا وشديد الاندفاع ، لم يجد في نفسه مجرد مثيل لفردريك الثاني بل راي نفسه كمخلص اخروي ارسله الرب لمعاقبة الاكليروس ولاقامة حكمه في العالم كله ، ويبدو ايضا انه حتى النهاية كان فردريك المزيف مقتنعا تماما انه سيقوم مرة ثانية خلال يومين ، حتى انه وعد اتباعه بذلك وقد صدقوه ، وفي الواقع الفعلي انه استبدل على الفور بشخصية مشابهة ، هذه المرة في البلاد المنخفضة حيث ادعي احدهم انه بعد ثلاثة ايام من احراقه قام من الموت وقد اعدم هذا بدوره في او ترخت .

وبدأت التقاليد الشعبية تتجمع حول شخصية فرديريك الزائف كما تجمعت حول شخصية فرديريك نفسه ، وأفاد الأعداء في وتزلز فقط في زيادة سمعة الامبراطور كرجل خارق للطبيعة ، وككائن خالد ، وروي انه بين الرماد عند الخازوق لم توجد عظام ، بل حبة فاصولياء صغيرة فقط ، واستنتج الناس على الفور ان هذا لابد انه يعني ان الامبراطور قد انقذ من اللهب بالعناية الالهية ، وأنه ما يزال حيا وسيعود يوما ما ، وبقي هذا الايمان جيلا بعد جيل ، وفي وسط القرن الرابع عشر كان ما يزال يقال ان فرديريك يجب ان يعود بالتأكيد ، مع انه قطع الى الوف القطع - وبالتأكيد اشارة الى ويلتزر - ومع انه احرق حتى الرماد ، لان هكذا كانت ارادة الرب التي لا تتغير ، وطورت اساطير غريبة ومثيرة (ص ١١٦) وقد زود الملك الشرقي الخرافي بريسترجون الامبراطور برداء من نسيج لا يحترق ، وخاتما سحريا مكنه من الاختفاء وبشراب سحري ابقاه شابا الى الابد ، وكثيرا ما كان الامبراطور يظهر للفلاحين في هيئة حاج ويفضي اليهم بان الوقت سوف ياتي حيث سيأخذ مكانه الصحيح على راس الامبراطورية .

وفي مجرى احداث القرن الرابع عشر كانت كل الامال الاخروية التي حاولت جماهير العصور الوسطى دائما ان تستخلصها من تقاليد كهنة التنبؤ السبيليني ، ونبوءات يوحنا ، قد اصبحت مركزة في الماضي على فرديريك مبعوث المستقبل :

« وفي كل البلاد تحل اوقات عصيبة ، وخصومات تتوهج بين رئيسي النصرانية ، ويبدأ الصراع ضار ، ويجب ان تنوح امهات كثيرات على اطفالهن ، ويجب ان يعاني الرجال والنساء على السواء ، والسلب وحرق المباني يمضي يدا بيد ، وكل إنسان في حلق انسان اخر ، وكل انسان يؤذي كل انسان اخر ، في شخصه وممتلكاته وليس هناك شخص الا ولديه سبب للعويل ، ولكن عندما تبلغ المعاناة هذه الوتيرة التي لا يمكن لأي إنسان ان يهدأ معها ، عندها يظهر بارادة الرب الامبراطور فرديريك بنبله ولطفه

الكبيرين وبكل شجاعة سيتوقف الرجال والنساء معا على الفور لبدء رحلة ماوراء البحار ، لقد وعدوا بمملكة الرب ، إنهم يأتون في حشود ، وكل يسرع ليتقدم الآخر.... وسيسود السلام كل الارض ، ولن يبقى تهديد الحصون ، ولا حاجة للخوف من القوة بعد ذلك ، ولا احد يقاوم الحملات الصليبية الى الشجرة الذابلة ، وعندما يعلق الامبراطور درعه عليها تخرج الشجرة اوراقها وتزهر ، ويتحرر الضريح المقدس ، ومن الان فصاعدا لا حاجة لاستئلال السيف للزود عنه ، وسيستعيد الامبراطور الذبيل القانون نفسه لكل الناس وكل العوالم الوثنية ستتبايع الامبراطور ، وسيطاح بسطة اليهود ، لكن ليس بقوة السلاح ، وستحطم قواتهم الى الابد وسيستسلمون بلا صراع .

ولن يبقى شيء من هيمنة الاكليروس تقريبا ، وسيلغى الامير العاليي المكانة والاصل كل الديرية معا ، وسيقدم الرهبان للزواج ، اني اقول لك ، إنهم يجب ان يزرعوا لنا الكروم والقمح وبحلول القرن الرابع عشر اصبحت المانيا في الحالة التي بقيت عليها حتى القرن السادس عشر : حشد من الامارات المتحاربة ، تشوش دائم كان الامبراطور في لجته بلا حول بالمره ، وفي الوقت نفسه حلت مدن جنوب وسط المانيا محل مدن البلاد المنخفضة كمراكز رئيسية للراسمالية التجارية في شمال الالب ، وبلغت الصراعات الاجتماعية عندهم شدة ضارية . وفي حين حاربت نقابات التجار النبلاء بعضها بعضا كانت تكمن بين الفقراء كراهية مميتة لكل الاغنياء ، ويجد المرء مؤرخا من مغدبورغ يحذر اصحاب الرواج الإقتصادي من البرجوازيين من ان المرء يجب ان لا يدع عامة الناس تفعل ما تريد كثيرا كما حدث من قبل ، انهم يجب ان يوضعوا بحزم تحت السيطرة ، لان هناك كراهية قديمة بين الاغنياء والفقراء ، فالفقراء يكرهون كل من لديهم ممتلكات ، وهم اكثر استعدادا لايذاء الاغنياء (ص ١١٧) مما لدى الاغنياء تجاه الفقراء ، ووجدت وجهة نظر الفقراء الان في الالب الالمانى تعبيرا له القوة نفسها التي وجدتها قبل ذلك بقرن في الالب الفرنسى ، والشاعر سوشنورت مثلا يصف

كيف ان الجائعين يتركون زوجاتهم الشاحبات والهزيلات والاطفال في اكواخهم ويحدثشون معا في الشوارع الضيقة ، وهم مسلحون بالاسلحة المرتجلة ، وهم ممتلئون بالشجاعة اليائسة : « صناديق الاغنياء مليئة وصناديق الفقراء فارغة ، ومعدة الرجل الفقير فارغة ...حطموا باب الرجل الغني ! فسنتعشى معه ، إنه من الافضل أن نصرع جميعا بدلا من ان نموت من الجوع ، والاحرى بنا ان نخاطر بحياتنا بشجاعة بدلا من ان نموت بهذه الطريقة ...»

وكان المتوقع انه في مثل هذا المجتمع ان فرديريك المستقبل سيتخذ بوضوح اكثر مظهر التأثير الاجتماعي العظيم ، مسيح الفقراء ، وفي ١٣٤٨ بعد انقضاء قرن بالضبط ، عادت نبوءات ارنولد والوعاظ السوابيون في صورة اكثر تأكيدا في التوقعات الشعبية التي لاحظها الراهب جون أوف ونترثور : « حالما يقوم من الموت ويقف مرة اخرى في قمة سلطته ، سيزوج النساء الفقيرات والعذارى للرجال الاغنياء والعكس بالعكس...وسيعمل ان يعاد كل شيء سرق من القاصرين واليتامى والارامل اليهم وان يتحقق العدل التام للجميع » وعلاوة على ذلك - والصورة ماخوذة مباشرة من نبوءة يواكيم الزائف « وسيضطهد الكهنة بشدة حتى انه إذا لم تكن لديهم وسائل اخرى لاختفاء رؤوسهم الحليقة فانهم سيغطونها بروت البقر ..»

(ويسرع جون ونترثور ليتحلل من هذه المعتقدات المنذرة ، فيعلق قائلا مايلي : « إنه لجنون صرف الاعتقاد بأن الامبراطور المنشق يمكن ان يعود ابدا ، وانه (مره اخرى ظل ويتزلزل) ، مضاد للعقيدة الكاثوليكية ان رجلا قد احرق على الخازوق يمكنه مرة اخرى على الاطلاق ان يستخدم سلطة عاهل ، ولقد كان لدى الراهب سبب كمي يكون حاسما ، ذلك ان ما يمكن دعوته عقيدة المجيء الثاني لفرديريك كان يعتبر من اكثر الوان الهرطقة خطورة ، وكان هذا مايزال صحيحا بعد ذلك بقرن ، وبعد فرديريك نفسه بقرنين ، وكتب مؤرخ في ١٤٣٤ يقول : « من الامبراطور فرديريك المنشق انطلقت هرطقة

جديدة مازال بعض المسيحيين يتمسكون بها في السر ، إن لديهم اعتقاداً مطلقاً ان الامبراطور فرديريك مازال حياً وسيبقى حياً حتى نهاية العالم ، وأنه ما كان هناك ، ولن يكون هناك امبراطور كامل الا هو ... ، لقد اخترع الشيطان هذه الحماقة ، حتى يضل اولئك المنشقين وشعباً بسيطاً واثقاً ...» وبأي صورة من الجدية اخذ الاكليروس هذه الهرطقة وكيف كانوا متنبهين لتحريها مبين في القصة الغربية لفيلسوف (ص ١١٨) يوناني غامر في ١٤٦٩ بان يبت في روما الاعتقاد الذي استمده من دراسته الطويلة للسبيلين اليوناني ، الذي كان بموجبه سيتولى الامبراطور الاخير عن قريب تحويل كل الناس الى المسيحية ، وفي هذا كما في النبوءات البيزنطية الاخرى ، كان مجيء الامبراطور الاخير ليعني بأي طريقة مذبحة للاكليروس او هيجانا اجتماعيا من اي نوع ، ولكن هذا لم يكن بالامكان تصوره لدى السلطات الاكليروسية في روما حتى انهم سجنوا الرجل التعس وصادروا حاجياته .

بيانات حول فرديريك المستقبل :

على مدى القرن الخامس عشر والسنوات الاولى من القرن السادس عشر لم تعد خرافة فرديريك المستقبل تلتقط وتجمع معامن التقارير العرضية للشهادات المعادية ، إنها عند هذه النقطة تظهر في ضوء النهار الكامل ، لانه الان بعد فاصل نحو قرنين او ثلاثة ، تبع بيان الراهب الاخ ارنولد بيانات عديدة مفصلة اكثر بكثير .

وكان اقدم هذه الاعمال ، الكراسية اللاتينية المعروضة باسم غماليون التي اخرجت إما في ١٤٠٩ او في ١٤٣٩ وهي تتحدث عن امبراطور الماني مقبل سيقضي على الملكية الفرنسية والبابوية ، وعندما يحقق مهمته لن تذكر فرنسا بعد ذلك ، وسيخضع الهنغاريون والسلاف وسيتضاء لون الى التبعية العامة ، وسيسحق اليهود الى الابد ، بينما سيعلموا الالمان على كل الشعوب ، وستجرد كنيسة روما من ممتلكاتها ويقتل كل كهنتها وسيحل محل البابا بطريرك

الماني ياتي من مينز ليطراس كنيسة جديدة ، ولكنها كنيسة خاضعة
للإمبراطور ، وبما أن « الذسر من جذس الذسور » فان فرديريك
جديد سوف تمتد أجنحته من بحر لبحر حتى حدود الأرض ذاتها ،
وستكون هذه هي الايام الاخيرة قبل المجيء الثاني والحساب .

وصدر في نحو ١٤٣٩ كتاب اعظم تاثيرا بكثير ، وهو الذي
يدعى « اصلاح سيغسموند » ، ويبدو ان اصل هذا العمل يكمن في
منهاج ، لاتيني اعده كاهن يدعى فرديريك أوف لانتناو لوضعه امام
المجلس العام في بازل الذي كان منذ ١٤٣١ وما بعدها يناضل
للشروع باصلاح الكنيسة. لكن النص الألماني في اصلاح سيغسموند
اكثر من مجرد ترجمة لذلك البرنامج ، ويعالج الكاتب الذي كان اما
فيرديريك لانتناو نفسه او وهو الأرجح صديق علماني له - الاصلاح
كاملا في الامبراطورية مثل الاصلاح المقترح للكنيسة ، ومن الواضح
انه كان حسن الاطلاع على ظروف الحياة في مدن جنوب المانيا ،
وبدا انه الناطق باسم كل فقراء المدن ، ليس باسم الحرفيين المهرة
المنظمين في نقابات ، بل باسم العمال غير المنظمين من الطبقة
الافقر (ص ١١٩) والاقبل مزايا بين سكان المدن ، ويطلب اصلاح
سيغسموند بقمع النقابات الاحتكارية والشركات التجارية الكبيرة ،
وهو يؤيد نظام مساواة تثبت فيه الاجور والاسعار والضرائب لخدمة
مصالح الفقراء ، ويقول بالوقت نفسه بوجود الغاء العبودية حيثما
ظلت متبقية في البلاد وكما كان في الايام الخوالي يجب ان تفتح المدن
ابوابها للعبيد المحررين .

والى هذا الحد لم يكن المنهاج قابلا للتطبيق على الفور لكنه على
الأقل إلهام مبني على الملاحظة والاختبار ، أكثر منه معالجة
الفية ، وينتهي الكتاب بنبوءة مسيحية غريبة يضعها المؤلف في فم
الإمبراطور سيغسموند الذي توفي لتوه فقط ، بعد ان كان هو نفسه
لبضع سنوات موضوعا لتوقعات مسانحة ، فقد جعل سيغسموند
يروى كيف ان صوت الرب قد أمره بأن يمهد الطريق لكاهن
ملك ، لن يكون سوى فرديريك أوف لانتناو . الذي كأمبراطور

فريدريك سيظهر نفسه كملك ذي قوة لاتباري وجلال ، وفي اي لحظة الآن سوف تطبق معايير فريدريك والامبراطورية والصليب،بينما ، عندها سوف يعلن كل امير وسيد ، وكل مدينة تأييدها لفريدريك تحت طائلة مصادرة الممتلكات والحرية ، ويمضي سيغسموند في وصف كيف بحث عن فريدريك لانتناو هذا حتى وجده في مجلس بازل ، في كاهن كان فقره معادلا لفقر المسيح ، وقد اعطاه ثوبا وعهد اليه بحكومة النصرانية كلها لهذا سيحكم فريدريك دولة تمتد من بحر الى بحر وان احدا لن يستطيع مقاومته ، وسيسحق كل المتاعب والاعمال الخاطئة بقدمه ، وسيدمر الأشرار ويجعلهم طعمة للذئبان ، وقصد بالأشرار الذين افسدهم المال ، والاساقفة من يشترون او يبيعون المناصب الكهنوتية والتجار الجشعين ، وتحت حكمه سيبتهج عامة الشعب اذ سيجدون العدل مستتباً وكل رغباتهم الروحية والجسدية مشبعة .

والأبعد والأكثر تفصيلا ولذعا من اصلاح سيغسموند هو كتاب « مائه فصل » وناشره مجهول ، عاش في الالزاس الأعلى او في بريسغو ويعرف عادة باسم « ثائر الراين الأعلى » وكان هذا الكهل المتعصب ذا اطلاع واسع على قدر ضخم من اب سفر الرؤيا في العصور الوسطى واستمد منه بحرية بهدف تطوير منهج رؤوي خاص به ، وكان بحثه المكتوب بالألمانية في السنوات الافتتاحية من القرن السادس عشر التعبير الأخير ، والأكثر شمولا عن الايمان الشعبي بالأخرويات في العصور الوسطى .

وفي المقدمة صنف الثائر مصادر الهامه وفق طراز حقيقي للعصور الوسطى ، وكانت رسالة من الرب ، نقلها رئيس الملائكة (ص ١٢٠) ميكائيل ، فلقد كان الله غاضبا غضبا شديدا من خطايا الجنس البشري حتى انه اعتزم ابتلاءه بأكثر الكوارث ترويعا ، وفي اللحظة الأخيرة فقط علق حكم القدر حتى تتوفر للناس فرصة أخرى لاصلاح طرقهم ، ولهذه الغاية رغب الرب في شخص ما تقى - طبيعى انه المؤلف نفسه - لينظم جمعية من العلمانيين

الورعين ، و فقط الذين ولدوا في اطار الزواج والذين كانوا هم
انفسهم متزوجين واكتفوا بزواج او زوجة واحدة هم المؤهلون
للعضوية (كان انغماس المؤلف في الزنا مفرطاً) ويلتزم الأعضاء
بلبس صليب اصفر كشعار وعلامة مميزة لهم ، ومنذ البداية
سيتمتعون بدعم فعال من القديس ميكايل وقبل مضي وقت طويل
سيجتمعون معا تحت قيادة الامبراطور فريدريك « امبراطور الغابة
السوداء » وهي شخصية مذهلة لاتذكرنا فقط بامبراطور الايام
الاخيرة ، بل ايضا بالمسيح المخلص المنتظر ، في التطلعات
اليهودية - المسيحية ، وبشكل خاص سفر الرؤية « وسيحكم الف
سنة وستكون السماء مفتوحة لشعبه ... وسيأتي في زي ابيض
كالثلج ، وبشعر ابيض وسيكون عرشه كالنار وسيخدمه عشرة
اضعاف الالف وعشرة اضعاف المائة الف ، لأنه سيطبق
العدل ، ومرة اخرى : « سيأتي الملك على حمار ابيض سيكون في
يده قوس وسيزوده الرب ، بتاج حتى تكون لديه القدرة على اخضاع
العالم كله ، وسيكون في يده سيف عظيم وسيبسط باعداد
كبيرة ... وفي الوقت نفسه سيقوم هذا المخلص الملكة المسيحية
لصالح اتباعه ، وفيها ستتوفر كل حاجة روحية او
مادية ، وسيكون باستطاعته ان يقول عن نفسه : « انا بداية
الحكومة الجديدة وساعطي من الماء الحي كل ظمان وكل من يتبعني
سيحصل على كفايته ، انا ساكون ربه ... » وسيوزع الكثير من
الخبز والشعير والنبيد والزيت بسعر زهيد ، ومن الواضح في هذا
التخيل ان امبراطور الغابة السوداء والمسيح المنتظر لن يكون غير
هو نفسه .

ومع ذلك سيمر طريق الالفية عبر المذابح والاهوال ، ذلك ان
هدف الرب هو عالم خال من الخطيئة ، فاذا استمرت الخطيئة في
الازدهار فان العقاب الالهى سينزل بالتأكيد على العالم في حين انه
ما ان تلغى الخطيئة سيكون العالم مستعدا لمملكة القديسين ، وعلى
هذا كانت المهمة الأكثر الحاحا لجمعية اخوة الصليب الأصفر
القضاء على الرذيلة ، والتي تضمن في الواقع القضاء على المنذرين

وقد صورت الجمعية على انها حشد صليبي تقوده نخبة - دعاها المؤلف « الفرسان الجدد » - التي بدورها ستتكون تباعدا للامبراطور (ص ١٢١) الأخرى نفسه ، وهدف الحملة الصليبية تمكين الامبراطور من « تحطيم بابل باسم الرب ... ووضع العالم كله تحت حكمه ، حتى يكون هناك راع واحد ، وحظيرة واحدة وعقيدة واحدة في العالم كله » ، ولتحقيق هذه الغاية كان الاغتيال مشروعا تماما : « وكل من يبطش برجل شرير لأعماله الشريرة ، كالتجديف مثلا ، او اذا ضربه حتى الموت سيُدعى عبد الرب ، حيث ان كل مكلف ملزم بمعاقبة الشر » ودعا الثائربشكل خاص الى اغتيال الامبراطور الحاكم ، مكسيميليان الذي كان يحمل له كراهية طاغية ، ولكن وراء هذا القتل الطليعي كان يكمن اليوم الذي « يحكم امبراطور الغاية السوداء فيه مع جمعية الاخوة ، العالم كله من الغرب الى الشرق بقوة السلاح » ، وهو عصر من الرعب الشامل غير المنقطع ، تسوغ فيه بشدة النبوءة المأمولة : « وسوف نشرب حالا الدم بدلا من النبيذ! » ولم يترك الثائر شكا بشأن من سيكون هؤلاء الاخوة الصليبيون : « انهم سيكونون من عامة الناس من الفقراء واما بالنسبة لسكان بابل : المدينون الذين يجب القضاء عليهم - فهم اتباع لوكسوريا وافرقتيا والرقص والملابس الناعمة والقسوة ، انهم « عظماء الناس في كل من الكنيسة وفيما بين العلمانيين » وكما هو الحال كثيرا ، انهم الاغنياء حسنوا التغذية ، الذين يعيشون حياة رخية من الاكليروس هم الأعداء الرئيسيون وكان المتعصبون من العلمانيين لا يتعبون أبدا من تصوير - بأكثر الألوان الممكنة توهجا واثارة - العقاب الذي سيوقعه الامبراطور القادم بنفسه على أبناء الشيطان من الرهبان وأخوة الرهبانيات والراهبات وهو غاضب بشكل خاص على الكهنة الذي يتحللون من نزرهم بالعفة ويتخذون زوجات ، ومثل هؤلاء الكهنة يصرخ بانهم يجب ان يختفوا ويحرقوا أحياء ، او ان يدفع بهم مع عشيقاتهم الى أيدي الترك ، ويجب أن يترك أطفالهم - الأطفال الحقيقيون للمسيح الدجال - للجوع ، ولكن في الواقع يجب القضاء على كل الكهنة

وابانتهم ، وكان المسيح ينادي في جنده: « استمروا في ضربهم ، من البابا نزولا الى الطلاب الصغار ، اقتلوا كل واحد منهم » ويتنبأ بأن ٢٣٠٠ كاهنا سيقتلون كل يوم وان هذه المذبحة ستستمر لمدة اربع سنوات ونصف السنة ولن تكون هذه هي النهاية ، لأنه نادرا مايكون المرابون المزهرون في المدن اقل سوءا من الاكليروس ، والى جانب هؤلاء الاساقفة الذين يبيعون ويشترون المناصب الكهنوتية ويحصلون على واردات ثمينة من الضرائب والعشور ، ورأى الثائر سربا من مقرضي الاموال يستخلصون بلا رحمة فوائد باهظة من الفقراء ومن التجار الذين ينكبون على استنباط الوسائل والاحتيايل على حدود اطار الأسعار ، ومن اصحاب الحوانيت ، بسبب المبالغة في الثمن وسوء الكيل ، والوزن والتلاعب والقياس ، ويصحب كل هؤلاء سرب من المحامين عديمي الضمير والمبادئ الذين يتلفون على تسويغ كل ظلم ، وكل هؤلاء على السواء سينبجون (ص ١٢٢) وبمساعدة الذين يشار اليهم الآن باسم « المسيحيون الورعون» ، واحيانا باسم « عامة الناس» سيحرق امبراطور الغابة السوداء كل المرابين ، وسيشندق كل المحامين .

لقد كانت امكانات الربح في مجتمع او اخر القرون الوسطى بدرجة الاغراء نفسها ومثلما كانت عليه في اي مجتمع آخر على الاطلاق ، وليس هناك شك في ان الاساءات والتجاوزات التي شكا منها الثائر كانت صحيحة بدرجة كافية ، ولكن هذا لايمكن أن يفسر السمة المميزة لتلك القطعة الخاصة من النقد الاجتماعي ، التي هي نيرتها الأخروية ، وكان الثائر مقتنع تماما ان الرب قد أمر بالمذبحة الكبرى للاكليروس « والمرابين » ومن اجل التخلص من مثل هذه الاساءات الى الابد ، وستكون المحرقة تطهيرا لا بد منه للعالم في الفترة التي تتقدم الالفية ، وهناك حقيقة حول الالفية تبدو بوضوح كبير انها معادية للرأسماليين ، فستصبح ممتلكات الكنيسة مدنية وستستخدم من قبل الامبراطور لفائدة المجتمع ككل والفقراء بشكل خاص وكل الدخل الوارد سواء من الممتلكات الارضية او من

التجارة سيصانر وهذا ما يعادل الغاء الامارات والتجريد من الملكية لكل الاغنياء ، وسيكون فرض الايجارات والضرائب والرسوم من كل نوع من قبل الامبراطور وحده ، ولكن وراء هذه الاصلاحات المباشرة وباعتبارها شاملة ، يتطلع الثائر الى تحول اكثر عنفا في المجتمع ، الى حالة تلتفى فيها الملكية الخاصة بالمرّة وسيكون كل شيء مشاعا : « اي قدر من الاذى يتفجر من الانانية من الضروري بناء عليه ان تصبح كل الثروات ثروة واحدة عندها سيكون في الواقع رابع واحد وحظيرة واحدة »

هل تبرهن الكائنات البشرية انها غيرية بدرجة كافية لتحقيق هذا النظام، إنه سيكون هناك رجعيون يفسدون الانسجام العام بالتعلق بسلكسوريبا والافاريتا ولايتهرب الثائر ابدا من مواجهة المسألة ، وهكذا اعلن ان الامبراطور سيصدر مرة في السنة مرسوما بهدف تعرية الخطيئة : الربا والفسق فوق كل شيء ، وليحث الناس على الابلاغ عن المذنبين ، ولكن ايضا - وعلى هذا يلقي ثقلا كبيرا - عليهم ان يتقدموا طواعية للاعتراف بخطاياهم الخاصة وستنشأ محكمة رسمية في كل ابرشية ، والباطون الذين يحركهم قبل كل شيء دافع داخلي لايقاوم سيمثلون امامها ليحاسبوا في مكتب القاضي ، وسيعاقب القضاة على كل منها « بقسوة شديدة » لان الرحمة مع الخاطئين جريمة ضد المجتمع ككل ، وعليه اذا جوزي الأثم الاول ربما بمجرد الجلد ، فان موقف المذنب الذي يمثل امام المحكمة في ثلاث سنوات مختلفة خطير حقا (ص ١٢٣) « واذا لم يتوقف شخص عن ارتكاب الذنوب فانه من الافضل له ان يكون خارج الدنيا من ان يكون فيها ، وعليه فانه سيعدم فورا بوساطة مبعوثين ما ، سريين ، ذوي ورع لاشك فيه ، ويجد الثائر متعة بالغة في وصف الطرق المختلفة التي ستنفذ بها هذه الاعدامات : بالحرق ، والرجم ، والخنق ، والدفن على قيد الحياة ويصر ان لاشيء يمكنه ان يفعل المزيد ليرسخ ويحمي النظام الجديد للمساواة والملكية المشاعة سوى النمط الجديد من العدل .

وكما سنرى تصور آخرون قبل هذا القرن نظام مساواة ، وعلاوة على ذلك اعتقدوا انه سيفرض وسيبقى بالقوة ، ولكن من ناحية واحدة ثائر الراين الاعلى اصليا حقا ، فلم يجمع احد قبله مثل هذا الاخلاص لمبدا الملكية الجماعية او العامة مع مثل هذه القومية الممزوجة بجنون العظمة ، وكان هذا الرجل قانعاً انه في الماضي البعيد كان الالمان في الحقيقة « يعيشون معا مثل الاخوة على الارض » ويملكون كل شيء بشكل جماعي ، وكان تدمير هذا النظام السعيد من عمل الرومان اولا ثم كنيسة روما ، ولقد كان القانون الروماني ثم القانون الكنسي هو الذي ادخل التمييز بين « لي » و « ولك » ، وزعزع بذلك شعور الاخوة ، وفتح الطريق امام الحسد والكرهية ، ووراء هذه الفكرة الغريبة تكمن فلسفة كاملة للتاريخ ، لقد استعبد العهد القديم على انه عديم القيمة ، لانه منذ بدء الخليفة وما بعدها لم يكن اليهود شعب الله المختار بل الالمان ، وكان ادم وذريته جميعاً حتى يافت بما في ذلك كل الانبياء من الالمان ويتكلمون الالمانية ، واللغات الاخرى - وبينها العبرية - وجدت فقط في برج بابل ولقد كان يافت وعشيرته هم الذين قدموا اولا الى اوروبا ، و جلبوا لغتهم معهم ، ولقد اختاروا الاستيطان ، في الالزاس قلب اوروبا ، وكانت عاصمة الامبراطورية التي اسسوها هي تريير ، وكانت هذه الامبراطورية الالمانية القديمة واسعة ، حيث غطت كل اوروبا - وامكن الادعاء ان الاسكندر الاكبر كان بطلا وطنيا المانيا - كما كانت اكثر الامبراطوريات كمالات ومثالية ، جنة ارضية حقيقية ، لانها كانت محكومة بموجب مجموعة القوانين المعروفة باسم تشريعات تريير التي تضمنت مبادئ الاخوة والمساواة والملكية الجماعية ، وكان في هذه التشريعات وليس في الوصايا العشر التي اخترعها « موسى الدجال » ان عبس الرب عن وصاياه للجنس البشري ، ولهذا الحق الثائر بعد تفكير عميق نسخة منها باعماله .

وكان تاريخ الشعوب اللاتينية مختلفا جدا ، فهذه السلالات البائسة لم تنحدر من يافت ، ولم تكن بين السكان الاصليين

لاوروبا (ص ١٢٤) فقد كان موطنها يقع في اسيا الصغرى ، حيث هزمت في المعركة على ايدي مقاتلي تريير ، ومن اجل ذلك احضرت للعمل كعبيد لدى الذين انتصروا عليها ، والفرنسيون وهم مجموعة بغیضة متميزة بشكل غريب يلزم بناء عليه وبالانصاف ان يكونوا شعبا خاضعا يحكمه الالمان ، اما بالنسبة للايطاليين فلقد تحدروا من العبيد الذين طردوا ودفوا الى جبال الالب بسبب جرائمهم ضد تشريعات تريير، ومن هنا نبتت الحقيقة التي لم يجد الناشر صعوبة في ترسيخها ، ان التاريخ الروماني يتالف من حلقات غير منقطعة تقريبا من الهزائم ، وكانت هذه الشعوب اللاتينية مصدر كل شيء ، إنها مصدر سم البحر كله وتلوثه تدريجيا ، وكان القانون الروماني ، والبابوية ، والفرنسيون ، وجمهورية البندقية ، جوانب لا عد لها لتأمر قديم جدا وكبير ضد الطريقة الألمانية في الحياة ، ولحسن الحظ كان الوقت في متناول اليد عندما توجب تحطيم قوى الشر الى الأبد ، وعندما يستولي الفساد الكبير القادم من الغابة السوداء على السلطة كامبراطور فريدريك فإنه لن ينظف فقط الحياة الألمانية من الفساد اللاتيني ويعيد العصر الذهبي القائم على تشريعات تريير ، بل سوف يستعيد أيضا لألمانيا وضع السيادة التي ارادها الرب لها ، واخضعت « رؤيا دانيال » ، وهي التطلعات الأخروية القديمة التي قدمت الالهام لليهود خلال ثورة المكابيين، الى تفسير أكثر من قبل الثائر أيضا ، والآن تحولت الامبراطوريات الأربع المتتابعة لتشمل فرنسا ، وانكلترا ، واسبانيا وايطاليا وبسبب الغضب من الزهو المفرط لدى هذه الأمم فإن الامبراطور سيغزوها جميعا ، وادعى الثائر انه قد اكتشف بالفعل بواسطة الكيماة : المتفجرات الجديدة التي سيتطلبها التنفيذ « وبهذه القسوة سيغرس الخوف في الشعوب » وبذلك خص الالمان بالامبراطورية الخامسة الأعظم التي لن تموت ، ثم بعد ذلك وعندها يعود الامبراطور من حملاته الغربية سيهزم وسيسحق الترك الذين تسللوا الى أوروبا ، وسيضغط في اتجاه الشرق على رأس جيش كبير مشكل من شعوب عديدة لينفذ المهمة التي اوكلت تقليديا للامبراطور الأخير ، وستفتح الأرض المقدسة للنصرانية وسيقضي

« على مجتمع المحمديين » نهائيا ، وسيعمد الكفار و « أولئك الذين لن يقبلوا العماد لن يكونوا مسيحيين ولا شعب كتاب مقدس ، لذا يجب قتلهم وبهذا يعمدون في دمائهم ، وبعد كل هذا سيحكم الامبراطور وسميسود على كل العالم متلقيا البيعة والجزية من اثنين وثلاثين ملكا » .

ومن الجدير بالملاحظة أن المسيحية التي قدر لها أن تفرض بمثل هذه القوة ندر معرفتها بهذه الصورة ، وطبقا للتأثر كان المسيحيون الأوائل رعايا امبراطورية تربيير ، والرب الذي عبده كان مثله مثل جوبتير يومه المقدس الثلاثاء ، وليس الأحد وكمبعوثين الى الألمان فإنه لم يرسل مـلائكة بل ارواح سـكنت في جبـال الالزاس (ص ١٢٥) ، اما تعاليم المسيح التاريخي فكانت موجهة فقط الى اليهود لا الى الألمان ، والديانة المثالية للألمان كانت ما تزال هي التي سادت في العصر الذهبي لتربيير ، وكان هذا هو الدين الذي على الامبراطور فريدريك أن يعيده الى وضعه السالف ، وعندما يحدث ذلك - وهنا يستمد التأثر كثيرا من الغماليون - لن يكون المركز الروحي للعالم روما بل ميترز ، حيث يترأسه بطريرك بدلا من البابا المختفي ، ولكن هذا البطريرك لن يكون بابا ، بل سيكون معتمد كليا على الامبراطور الذي سيعينه ويمكنه عند الحاجة أن يخلعه ، وسيكون الامبراطور التأثر نفسه ، منتصرا ومبجلا هو الذي سيقف في مركز الاعتراف به كرب ارضي ، ولن تكون الامبراطورية المقبلة في الواقع شيئا أقل من نصف جماعة دينية متحدة في عبادتها وخوفها من المسيح المخلص الذي هو تجسيد للروح الالمانية ، وهذا ما كان في ذهن التأثر عندما صاح في ابتهاج « لقد أمسك الألمان مرة بالعالم كله في أيديهم وسيفعلون ذلك مرة أخرى ، وبقوة أكبر مما كان أبدا »

وبرزت : هذه التخيلات القومية الفجة لفكر نصف متعلم مقحمة في تقاليد الايمان الشعبي بالأخرويات ، والنتيجة بصورة غريبة شبيهة بالتخيلات التي كانت قلب عقيدة

الاشتراكية - الوطنية ، وعلى المرء فقط أن يعود الى الرسائل - التي أصبحت بالفعل منسية تقريبا - لعلماء مثل روزنبرغ ، ودارية ليصدم على الفور بالتماثل ، وهناك الاعتقاد نفسه بوجود ثقافة المانية بدائية تحققت فيها مرة الارادة الالهية والتي كانت عبر التاريخ مصدرا لكل ما هو طيب ، والتي تزعزعت فيما بعد بتأمير الراسماليين والشعوب الأدنى غير الجرمانية ، وكنيسة روما ، والتنبؤي يجب أن تستعاد الآن بارستقراطية جديدة ذات موك متواضع ولكنها المانية حقة في الروح ، تحت مخلص مبعوث من الرب يكون في الوقت نفسه زعيما سياسيا ومسيحا جديدا ، إنها كلها هناك وكذلك كان الأعداء في الغرب والشرق - ولقد استخدم الرعب كأداة سياسية ، وحباً به ذاته - كانت المذابح الكبرى في التاريخ - في الواقع كل شيء باستثناء الفناء النهائي للامبراطورية العالمية ، التي في كلمات هتلر كانت ستدوم ألف سنة .

ولم يطبع كتاب « مائة فصل » في وقتها ، ولم يطبع أبدا ، وليس هناك ما يوحي بأن التأثير المجهول قد شغل دورا هاما في الحركات الاجتماعية من أيامه ، ولا تكمن أهميته في أي نفوذ مارسه بل في التأثيرات التي خضع لها وسجلها ، ولأنه حتى إذا كانت بعض التفاصيل قد ولدت من تأملاته الخاصة (ص ١٢٦) ، فإن الخيال في خطوطه العريضة كما قدمه ، هو ببساطة تفصيل للنبوءة التقليدية لفريدريك المستقبل الذي سيكون المسيح المخلص للفقراء ، وليس هناك شك أنه بصورة أوبأخرى استمرت هذه النبوءة في فتنة وإثارة عامة الشعب في ألمانيا والفلاحين والحرفيين على السواء حتى وقت متقدم في القرن السادس عشر ، ومن امبراطور بعد الآخر - سيغسموند ، فردريك الثالث ، مكسيميليان ، وشارل الخامس ، كافح الناس لرؤية إعادة تجسيد بالمعنى الأكثر حرفية للكلمة لفريدريك الثاني ، وعندما أخفق هؤلاء الملوك في شغل الدور الأخرى ، المتوقع منهم استمر الخيال الشعبي في إيجاد امبراطور

خيالي هو فردريك يقوم من وسط الفقراء - « من تحدر دوني » كما وصفه الثائر ليحل محل الملك الفعلي ويحكم بدلا منه .

وسيكون من السهل بلا شك تضخيم الجزء الذي شغلته مثل هذه التوقعات في حركات المقاومة والثورة التي تشكل نقاطا علامة في التاريخ الألماني خلال الربع الأول من القرن السادس عشر ، وموقف الفلاحين ، بشكل خاص كان عادة واقعا بدرجة كافية ، وحتى عندما تطلع الفلاحون الى ماوراء مظالمهم المباشرة وطالبوا باصلاح عام للبنية الاجتماعية والسياسية للامبراطورية كان: منهاجهم يميل الى أن يكون محدودا وعمليا مقبولا ، ومع ذلك فإنه في سلسلة الثورات المعروفة باسم البندشوهة (التي سيقال عنها الكثير في فصل لاحق) كانت تخيلات مماثلة لتلك التي في كتاب مائه فصل تشغل دورا ما ، وكتب ثائر الراين الأعلى في سنة ١٥١٠ يتنبأ بأن السنة الرؤوية هي ١٥١٥ ، وعندما انفجرت ثورة في المنطقة نفسها في عام ١٥١٣ لم يكن هدفها المعلن أقل من « مساعدة الصلاح والتخلص من المجدفين » وأخيرا استعادة الضريح المقدس ، وتدبر بعض الذين ساهموا في هذه الثورة حتى امر اقناع أنفسهم بأن الامبراطور مكسميليان كان موائما لقضيتهم مع انه اذذاك كان مضطرا لابقاء تعاطفه سرا .